مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ١: ١١–١٩)

يا إخوةُ أُعلِمكم أنَّ الإنجيلَ الذي بشَّرتُ به ليس بحسبِ الإنسانِ* لأنّي لم أتسلَّمْهُ وأتعلَّمه من إنسانٍ بل بإعلانِ يسوع المسيح* فإنَّكم قد سمعتُم بسيرتي قديماً في مِلَّةِ اليهود أنّي كنت أضطهدُ كنيسةَ اللهِ بإفراطٍ وأدمِّرها* وأزيدُ تقدُّماً في مِلَّةِ اليهودِ على كثيرينَ من أترابي في جِنسي بكوني أوفر منهم غَيرةً على تقليداتِ آبائي* فلمَّا ارتضى اللهُ الذي أفرزني من جوفِ أمّي ودعاني بنعمته* أن يُعلن ابنه فيَّ لأُبشِّرَ بينَ الأممِ لساعتي لم أُصغِ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صعِدتُ إلى أورشليمَ إلى الرسلِ الذينَ قبلي بل انطلقتُ إلى ديارِ العربِ وبعد ذلك رجَعتُ إلى دِمشق* ثمَّ إنّي بعد ثلاثِ سنين صعِدتُ إلى أورشليمَ لأزورَ بطرسَ فأقمتُ عنده خمسةَ عشرَ يوماً* ولم أرَ غيره من الرسلِ سوى يعقوبَ أخي الرب.

مشكلة الشرّ من منظور مسيحي

في فجر الخليقة، قبل خلق العالم المنظور، ومن بعد خلق الملائكة في العالم الروحي غير الحسي، حدثت كارثة على مستوى الكون نعرفها من خلال نتائجها: رهطٌ من الملائكة المتمرّدين ضدّ الله انفصلوا عنه وصاروا مضادّين وأعداء لكلّ ما هو خير وقداسة. تزعَّم هذه الجماعة الساقطة ملاكٌ يدعوه الكتاب المقدس «لوسيفوروس» (أش ١٤: ١٢) أي «حامل النور». أصله كان صالحاً ولكن، وبحسب تعبير القديس يوحنا الدمشقي، عندما اتّبع مشيئته الخاصة، «حاد بحريَّته وقراره الخاص عن الناموس ليذهب ضدّ الناموس، وارتدّ عن الذي خلقه، الله، مبتغياً معاندته، فكان أوّل مَن رذل الخير واختار الشر». لوسيفوروس والذي يُسمَّى أيضاً في التقليد المسيحي «إبليس» كان ينتمي إلى إحدى الطغمات العُليا في المراتب السماوية وقد اجتذب معه في السقطة ملائكةً آخرين يُخبر عنهم سفر الرؤيا (١٢: ٨–١١).

سقط هذا الملاك في الظلمة بمشيئته الطوعية الحرّة، لأنّ كلّ خليقة عاقلة نالت من الله مشيئةً حرّة أي حقَّ الاختيار بين الخير والشر. وهذه الإمكانيّة أُعطيَت للإنسان أيضاً لكيما بتمرّسه بالخير يقدر أن يتّحد بالخير. الله لا يُرغِم أحداً على الخير. القديس سمعان اللاهوتي الحديث يقول: «لم يَصبِرْ أحدٌ صالحاً تحت الإلزام». كان من المفترض أن تنمو الملائكة في الخير والصلاح والوحدة مع الله. لكنّ فريقاً منهم اتّخذ قراراً مغايراً فحوّلوا مصيرهم ومصير الكون باسره، لأنّه، ابتداءً من هذه اللحظة، تحوّل الكون حلبة صراع بين جبهتين إثنتين: جبهة الخير الإلهيّة وجبهة الشر الشيطانيّة.

يجب ألا ننسى أنّ الكنيسة ترفض النظريّات الفلسفية الثنائية القائلة بوجود مبدئين يتحكّمان بالعالم، مبدأ الخير ومبدأ الشر. هذه النظريات شاعت مع الديانة المانوية الطارئة على المسيحية والمتألّفة من عناصر

العدد ٢٠١١/٤٣

الأحد ٢٣ تشرين الأول ٢٠١١

تذكار القديس الرسول يعقوب أخي الإله بالجسد وأول أساقفة أورشليم

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

الإنجيل

(لوقا ٨: ٢٧–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوع إلى كورةِ الجُرجسيينَ فاستقبلهُ رجلٌ من المدينة به شياطينُ منذ زمانٍ طويل ولم يكن يلبَسُ ثوباً ولا يأوي إلى بيتٍ بل إلى القبور* فلمَّا رأى يسوعَ صاح وخرَّ له وقال بصوتٍ عظيم ما لي ولك يا يسوعُ ابنُ اللهِ العليّ. أطلبُ إليك ألاَّ تُعذِّبَني* فإنَّه أمرَ الروحَ النجسَ أن يخرجَ من الإنسان لأنَّه كان قد اختطفه منذ زمانٍ طويل وكان يُربَط بسلاسلَ ويُحبَسُ بقيودٍ فيقطعُ الرُّبُطَ ويُساقُ من الشيطان إلى البراري* فسأله يسوعُ قائلاً ما اسمُك. فقال لَجَيونُ لأنَّ شياطينَ كثيرين كانوا قد دخلوا فيه* وطلبوا إليهِ أن لا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية* وكان هناك قطيعُ خنازير كثيرةٍ ترعى في الجبل* فطلبوا إليه أن يأذنَ لهم بالدخول فيها فأذِن لهم* فخرج الشياطينُ من الإنسانِ ودخلوا في الخنازير فوثبَ القطيعُ عن الجُرفِ إلى البحيرةِ فاختنقَ* فلمَّا رأى الرعاةُ ما حدث هربوا فأخبروا في المدينة

مسيحية مُمتزجة بعناصر أخرى من الديانات الشرقية ومن الفلسفات الثنائية.

الفكر المسيحي لا يُعبِّر عن نفسه بالطريقة التي تُعبِّر فيها الديانات الثنائية عن الشر، فالشيطان موجود داخل الخليقة. لا نضعه إزاء الله، فالشر ليس واقعاً أصليًّا مساوياً لله في الأزليّة، بل هو ابتعادٌ عن الخير وانفصالٌ عنه، هو موقفٌ مضادٌ لله. لا مجال للكلام على الشر على مستوى الوجود والكينونة فهو ليس كياناً قائماً بذاته. فكما أنّ الظلمة أو الظل ليسا حقائق مستقلّة بل هما غيابٌ للنور، كذلك الشر هو غياب الخير. لا يوجد كيان اسمه الشر.

يقول القديس باسيليوس الكبير: «الشر ليس جوهراً حيًّا له روح بل هو حالةٌ لروحٍ مضادّةٍ للفضيلة ومُتأتيةٍ... عن الإنفصال عن الخير. لأجل هذا لا تبحثنّ عن الشر في الخارج ولا تتصوَّرن وجود أيّ طبيعةٍ شريرةٍ من حيث المبدأ، بل ليعلم كلّ واحدٍ مدى مسؤوليته في الميل إلى الشر».

لم يخلق الله طبيعةً شريرة ولكن الكائنات العاقلة قادرةٌ بسبب حريّتها على أن تُوجِّه مشيئتها الحرّة ضد الله، وهي تالياً تلِد الشر، وهذا ما حصل. ليس للشر كينونة ولا جوهر ولكنّه يتحرّك كمبدأ تدميريٍّ فاعلٍ فعّالٍ يتّخذ وجوداً، يصير واقعاً تحت صورةِ الشيطان أو الشياطين.

يفسّر اللاهوتي الكبير الأب جورج فلوروفسكي هذه المفارقة عن وجود الشر بالشكل الآتي: «يُعرَّف الشر بأنّه العَدَمُ. من المؤكد أن الشرَّ لا يوجد البتّة بذاته، ولكن فقط داخل الخير. الشر هو الرفض المُطلق والحرمان، هو من دون شك يُعبِّر عن نقص، عن إخفاقٍ... الشر هو فراغ العَدَم، ولكنه شرٌّ موجودٌ يُظلّلُ، يغلّف الكائنات ويتأكّلها. هو عديم القوَّة، لا يَخلُق أبداً، ولكن قدرته التدميرية هائلة... مشكلة الشر تتّخذ خاصيّتها فقط على الصعيد الديني، ومعنى الشر هو أن يوجد الكائن بتضادٍّ مُطلقٍ مع الله، بأن يكون في تمرُّدٍ، في عدمِ طاعةٍ ومقاومة».

لا نطلب في الصلاة الربية من الله أن ينجّينا من شرٍّ مجرّدٍ بل «من الشرير»، من شخصيّة محدّدة تُجسِّد في ذاتها الشرّ. من هذا الشرير الذي لم يكن شريراً بالطبيعة والأصل بل هو متّشح بـ«العصيان» هذا، والذي يقود إلى الموت، الموت الروحي، موته وموت مَن يجعله ضحيّة له.

مقارنةً بالفعل الإلهي، فعل الشر هو وهميٌّ ومن نسج الخيال، أي أن الشيطان عاجزٌ بشكل كامل في الأماكن التي لا يسمح الله فيها أن يفعل، أو بالحريّ فإنّ الشيطان يتحرّك فقط داخل الحدود التي يسمح بها الله. وهذا واضح في الكتاب المقدس حيث يطلب الشيطان الإذن ليحارب أيوب (أيوب ١: ١٢، ٢: ٦،...)، وحيث لا سلطة له على الخنازير (متى ٨: ٣١–٣٢، مر ٥: ١٢–١٣، لو ٨: ٣٢)، ولكنّه «كذّاب وأبو الكذّاب» (يو ٨: ٤٤). يعتمد على الكذب ليُقنع خصمه بأنّ لديه قوّة وسلطة، بينما أكثر ما ينقصه هو القوّة والسلطة.

الله يسمح عبر التاريخ بالشر لغاياتٍ تأديبيّة، يُقسي قلب فرعون...، ولكن ذلك لا يعني أنّ الله هو مصدر الشر. الله يستخرج من الشرّ خيراً أو بحسب قول الأب البار باييسيوس الآثوسي «يسمح أحياناً

وفي الحقول* فخرجوا ليرَوا ما حدث وأتوا إلى يسوعَ فوجدوا الإنسانَ الذي خرجتْ منه الشياطين جالساً عند قَدَمَي يسوعَ لابساً صحيحَ العقل فخافوا* وأخبرهم الناظِرون أيضاً كيف أُبرِئَ المجنونُ* فسأله جميعُ جمهورِ كورةِ الجُرجسيين أن ينصرفَ عنهم لأنَّه اعتراهم خوفٌ عظيم. فدخل السفينةَ ورجع* فسأله الرجلُ الذي خرجت منه الشياطين أن يكون معه. فصرفه يسوعُ قائلاً إرجعْ إلى بيتك وحدِّثْ بما صنع اللهُ إليك. فذهب وهو ينادي في المدينة كلِّها بما صنع إليه يسوع.

تأمل

لذّة الخطيئة هي ظلّ وحلم إذ تنطفئ قبل أن يتذوّقها الإنسان جيداً، لكنّ العقابات التي تتبعها ليست لها نهاية، فإنّ الحلاوة التي تقدّمها للإنسان قليلة بينما المرارة أبدية. فكما أنّ الحلم سريع الانقضاء أمام حياة كاملة، كذلك المُتع الأرضية أمام الجحيم الآتية. مَن يريد حقاً أن يرى حلماً مفرحاً ويُعاقَب بسببه كلّ حياته؟

يا أحبّائي، فلنتجنّب شرّ الشيطان الذي يخدعنا بأشياء صغيرة ويجعلنا بشرٍّ صغير ليُجنِّب شرًّا أكبر».

يقول الأب ألكسندر شميمان: «إذا كانت الخبرة الروحية تعلّمنا شيئاً، فهو أن الشر لا يُفسَّر بل يواجَه ويُصارَع. وهكذا فعل الله بالشر. فهو لم يفسره، بل أرسل ابنه الوحيد لتصلبه قوات الشر مجتمعة، فيقضي عليها بالمحبة والإيمان والطاعة».

ولكن يبقى السؤال مطروحاً: لماذا يحتمل الله وجود الشر والشيطان؟ المغبوط أوغسطين يقول: «أنا عاجزٌ عن الولوج في أعماق هذا الموقف الإلهي، وأنا أُقرُّ بأنّ هذا الأمر يتخطّى قواي».

تعلِّم الكنيسة أنّ الشرّ ليس أبديًا كالله ولا هو مساوٍ له في الوجود. فإن تمرُّد الشيطان ضد الله وسيادته على الجحيم لا يعنيان أنّه سيدوم إلى الأبد، بل على العكس، فإنّ اللاهوت المسيحي متفائلٌ في العمق ويعلن بقوّة إنتصار المسيح. ولكنَّ الإنسان اليوم في آلامه وعجزه قد لا يقوى على إدراك هذا الانتصار، لأنّه كما يقول الرب على لسان أشعياء النبي: «إنَّ أفكاري ليست أفكاركم ولا طُرقكم طُرقي» (أش ٥٥: ٨).

ثقافة الموت

تعيِّد كنيستنا المقدَّسة في الرابع والعشرين من شهر تشرين الأول للقديسات الشهيدات سنكليتيكي وابنتَيها اللواتي جاهدْنَ على عهد الملك المغربي دوناس في بدايات القرن الحادي عشر إذ أمر بجرهنَّ في الشوارع والتنكيل بهنَّ، إلى أن أَمَرَ بقتلهنَّ عندما لم يخضعنَ للرغبة الملوكيَّة في أن ينكرنَ المسيح. جهاد القديسات المذكورات يجعلنا نتذكَّر كل تلك الصور والمشاهد الدموية التي نراها أينما نظرنا، إن في الصحف أو محطّات التلفزة وغيرها، إلى أن أصبحنا معتادين إلى حدّ الإدمان على هذه المشاهد وصرنا نطلب العنف في الأفلام والرياضة وما إلى ذلك حتى نشفي إدماننا، فهل أصبحنا أبناء ثقافة الموت؟

كلُّ ما حولنا أصبح عدائيًّا، الأمر الذي بدأ يتسلّل إلى نفوسنا حتى أصبح جزءاً لا يتجزّأ من حياتِنا اليوميَّة ومن شخصيَّاتنا. مثلاً، إذا أضاءت إشارة المرور الخضراء ولم تنطلق السيارة الأولى خلال نصف ثانية يبدأ كلُّ مَن خلفها إمَّا بإطلاق أبواق سيَّاراتهم أو بالصراخ، وفي بعض الأحيان ينتقل الأمر إلى اشتباك بالأيدي وصولاً إلى رفع السلاح فالقتل. إلى هذا الحدّ أصبح القتل سهلاً في حياتنا وصارت رؤية إنسان ملقىً أمامنا مخضَّباً بالدماء لا تبث في نفوسنا أيَّ مشاعر أسى، بل مشاعر عطشٍ إلى دماءٍ أكثر.

كم نسمع عن ثوراتٍ وحروبٍ وانفجاراتٍ يوميَّة يذهب ضحيتها أعداد كبيرة من الناس؟! كنا في القديم نتأثّر إذا سمعنا بوقوع حادث سير يذهب ضحيّته شخصان بالأكثر، أما اليوم فأصبحنا لا نتأثر ولو وقع انفجار يوقع آلاف القتلى. أين الروح المسيحية في هذا؟ أين قول الرسول بولس: «مَن يضعف ولا أضعف أنا» (٢ كو ٢٩: ١١)؟ أين اهتمام أعضاء الجسد الواحد بعضهم ببعض؟ حتى ولو مات شخصٌ ما في بلدٍ لا نعرفه فهذا لا يعني أنّنا غير معنيين به وبالصلاة من أجل راحة نفسه.

نفقد الأشياء الكبيرة وإلا فسيُحكم علينا معه في الجحيم الأبدية، وسنسمع الديّان يقول لنا نحن أيضاً: «إذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته» (متى ٢٥: ٤١).

إنّ البعض يقولون: «الله محبّ للبشر ولن يفعل هذا»، أما نحن فنسألهم: «وهل كُتبت هذه من دون هدف إذاً»؟. فيُجيبون: «لا، بل لكي نخاف ونكون صالحين». لكن إن لم نصبح صالحين، وإن بقينا أشراراً حتى النهاية، ألن يرسلنا إلى الجحيم ويكافئ الناس الأبرار؟ «نعم سوف يكافئهم. إنّ الله يُحسن إلينا أكثر ممّا نستحق». لكن كيف تكون هذه حقيقية وسوف تتمّ حتماً، بينما المتعلّقة بالجحيم لا؟

كم أنّ الشيطان هو محتال! كم هي قاسية محبته للبشرّ! إنه يضع في أذهاننا مثل هذه الأفكار التي تقودنا إلى الإهمال والكسل. يعرف الشرير أنّ خوف الجحيم هو لِجام يضبط النفس ويمنعها من الشرّ فيجاهد بأيّ طريقة لينزعه عنا، ويرمينا بسهولة في الهاوية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إضافةً إلى ذلك، مَن مِنَ الأهل يشتري لأولاده ألعاباً على شكل مسدَّس أو رشاش أو دبابة وغيرها، ذلك كي يكبر الصبية ويصبحوا رِجالاً؟! هل الرجولة قائمةٌ على تعلُّم فنون القتل والدمار؟ يريد الأهل أن يواكب أبناؤهم التطوّر والتكنولوجيا كي لا يكونوا «أدنى مستوى» من إقرانهم فيشترون لهم التقنيات دون أن ينسوا الأقراص المُدمجة المحتوية على أهم ألعاب القتل والدماء والانتقام والحرب الموجودة في الأسواق! أيحقُّ لنا بعد تربية أبنائنا على أمور كهذه أن نسأل: لِمَ لا تنتهي الحروب في العالم ويحلُّ السلام عوضاً منها؟

إذا أحصينا الأشخاص، وخصوصاً جيل الشباب منهم، الذين يحبون استعمال السلاح: إن للصيد أو للشعور بالأمان أو غير ذلك، في مقابل الذين يحبّون الاطّلاع على الأمور الجديدة من خلال القراءة والبحث أو من خلال الاشتراك في جمعيَّات ثقافية واجتماعيّة تُعنى بالآخر، لَوجدنا السلاح يغلب الكتاب. إنّ المجتمع الذي يفضِّل أبناؤه الصغار قتل الآخر على مساعدته هو مجتمعٌ مصيره الفشل ولن يهنأ بالسلام. لقد وضع أُناسُ هذه الأيام في رؤوسهم فكرة أنّ الآخر موجود لأذيَّتهم فقط، لذلك نجد العدائية تنتشر والموت أصبح سيد الموقف.

عندما يصبح أمرٌ ما من العادات اليومية لأحد الشعوب، حينئذٍ يصبح عنصراً من عناصر ثقافة هذا الشعب، وبذلك يصير عنواناً يُميّز هذا الشعب عن سواه. هكذا، إن لم نتخلَّ عن التعلّق بالعدائيّة القاتلة، والاستمتاع بالمشاهد الدموية، فإنّنا تالياً سنصير أبناء ثقافة الموت، فيما نحن خُلِقنا أبناءً للحياة، بما أنّ خالقنا هو الطريق والحق والحياة. لذلك، دعونا نربّي أنفسنا أولاً على اتّباع أقوال الحياة، أي أقوال الرب، ثم نربّي أولادنا عليها، وهكذا نكون في صدد بنا مجتمعٍ أبناؤه أبناءُ قيامةٍ لا موت.

الأخت فروسين في ذمة الله

على رجاء القيامة والحياة الأبدية انتقلت إلى الأخدار السماوية الأخت المتوحدة افروسين السكاف، إحدى راهبات دير دخول السيدة إلى الهيكل في الأشرفية. وظهر السبت ٨ تشرين الأول ٢٠١١ ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الجناز لراحة نفسها يحوط به كهنة الأبرشية وعدد من الراهبات اللواتي أتين من مختلف الأديار، إضافة إلى جمع من المؤمنين.

عيد القديس ديمتريوس

بمناسبة عيد القديس المعظّم في الشهداء ديمتريوس المفيض الطيب تقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢٥ تشرين الأول وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٢٦ تشرين الأول في كنيسة القديس ديمتريوس في الأشرفية.